# دور الحبيب بورقيبة في تجديد عمل الحركة الوطنية في تونس ( ١٩٢٩ – ١٩٤٥ )

أ.م.د.حسن زغير حزيم
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

# دور الحبيب بورقيبة في تجديد عمل الحركة الوطنية في تونس ( ١٩٢٩ – ١٩٤٥ )

**أ.م.د. حسن زغير حزيم**

**المقدمة :**

تناول البحث دراسة دور الحبيب بورقيبة في تجديد الحركة الوطنية في تونس منذ عام ١٩٣٣ حتى نهايته عام ١٩٤٥ ويعد هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في حقل الدراسات التاريخية لانه يسلط الضوء على دوره في قيادة الحركة الوطنية التونسية واعتماده سياسة المراحل والواقعية في النضال ، وهو يعد رائداً على المستوى العربي ، التي مكنته من تحقيق الاستقلال التام لتونس ، كل هذه الاراء والمواقف التي اتبعها بورقيبة جعلتني اختار دراسة دوره في تجديد وتطوير الية عمل ناجح للحركة الوطنية واتخاذ سياسة واقعية في العمل الوطني بعيداً عن الافكار التقليدية السابقة عنواناً لبحثي هذا وكذلك لافتقار المكتبة العراقية لمثل هذا الموضوع حسب معلوماتي المتواضعة .

**أولاً : نشاط الحبيب بورقيبة في الصحافة الحرة :**

بدأ الحبيب بورقيبة نشاطه السياسي ، بعد عودته الى تونس ، من خلال كتاباته في الصحف ، فقد كتب اول مقال له عنوانه "الحجاب" ونشره في جريدة اللواء التونسي بتاريخ ١١ كانون الثاني عام ١٩٢٩ ، والمقال نص الكلمة التي القاها في جمعية "ليسور" وهي جمعية ادبية تابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي في تونس ، وكان قد اناب عن اخيه محمد (بالفتح) الذي كان عضواً فيها [1]، وقد دافع في كلمته عن الحجاب وقال : "ان الحجاب قد يخلو من اللطافة لكنه يعد جزءاً من الشخصية

التونسية وان فرنسا تسعى الى محق هذه الشخصية وتروم فرنستها ... لذلك يجب ان نتمسك بجميع مظاهر شخصيتنا"[٢].

ثم نشر مقالاً جديداً عنوانه (نظرية دوريل او الاشتراكية العرجاء) نشرته جريدة اللواء التونسي في الاول من شباط عام ١٩٢٩ ، وفي هذا المقال هاجم الاشتراكيين لقبولهم التمييز الذي اتبعته سلطات الحماية[٣] بين التونسيين والفرنسيين ، من اجل حماية مصالح الفرنسيين ، كما اعلن عن رفضه مبدأ الاممية[٤] ، لانها تعني استمرار استغلال تونس واصر على الهوية الوطنية لتونس لضمان العدالة الاجتماعية[٥] .

وواصل كتابة المقالات في الصحف ، منتقداً كل انتهاك تقوم به سلطات الحماية، فقد ندد بالمؤتمر الافخرستي[٦] عام ١٩٣٠ وقد وصفه : "بانه نكبة على البلاد التونسية"[٧] . وفي مقال نشره في ١٣ شباط عام ١٩٣١ في جريدة الصوت التونسي[٨] ، هاجم سلطات الحماية ، ومما جاء فيه : "اذ كان شعباً قوياً استعمرته دولة قوية بسبب ازمة مؤقتة ، فالاتصال بحضارة متقدمة تبعث فيه ثورة هي وسيلة النجاة ... لا بد ان يصل شيئاً فشيئاً الى استقلاله" [٩] .

ثم كتب بورقيبة مقالاً اخر هاجم فيه سلطات الحماية ، قال فيه : "ان هذه الاحوال لا يمكن ان تدوم وان امن فرنسا لا يستقر الا اذ اوجدت دولة تونسية حرة تتفهم وتتعاون معها وانه افضل لفرنسا ان تساعد على بث هذا الوضع الجديد، من ان تمضي في تعكير الاحوال ودفعها من سيء الى اسوأ"[١٠] .

وفي ١٦ شباط عام ١٩٣١ انضم الى هيئة تحرير جريدة الصوت التونسي ، التي اصبحت تصدر بصورة يومية بعد ان كانت تصدر اسبوعياً[١١] . ويذكر ان الصحف التونسية الناطقة باللغة الفرنسية كانت اشد وطأة على سلطات الحماية مقارنة بالصحف التي تصدر باللغة العربية ، وبدأت سلطات الحماية تشعر بخطر هذا الاتجاه ، فأمرت

في ١٢ ايار عام ١٩٣١ بتقديم هيئة تحرير جريدة الصوت التونسي للمحاكمة ، بتهمة تحريض المواطنين ضد سلطات الحماية[١٢] .

وبدأت المحاكمة في ٩ حزيران عام ١٩٣١ ، فتجمعت الجماهير خارج المحكمة ، مما دفع المقيم العام الفرنسي في تونس فرانكوز مونسيرون Francois Manceron (١٨٧٢-١٩٣٧/١٩٢٩-١٩٣١) الى تهدئة الموقف ، فأطلق سراح اعضاء هيئة تحرير الجريدة واغلقت القضية بسبب عدم كفاية الادلة[١٣] .

وبعد هذه الحادثة ، عبر بورقيبة عن عدم انتمائه الى الحزب الحر الدستوري من خلال كلامه مع الشاذلي خير الله ، الذي قابل المقيم العام بصورة منفردة قبل اطلاق سراح هيئة تحرير الجريدة ، عندما سأله عن السبب الذي دفعه لذلك ، فاجابه الشاذلي ، انه تلقى اوامر من الحزب الحر الدستوري ، فقال: "اننا اجتمعنا في الصحيفة لان الشعب اوكل الينا العمل باسمه لا في نطاق الحزب" [١٤] .

وبعد هذه الحادثة ، كتب مقالين في جريدة الصوت التونسي ، فقد كتب في ٢ تموز مقاله الاول ، وفيه دافع عن الجريدة ، وفي ١٠ تشرين الاول عام ١٩٣١ نشر مقاله الثاني الذي حمل عنوان (الازمة الفلاحية) في الجريدة نفسها[١٥] .

لكن الانشقاق بدأ جلياً في هيئة تحرير الجريدة بعدما كتب مقالاً في ٢٢ تشرين الاول عام ١٩٣١ ونشرته جريدة الصوت التونسي ، وفيه انتقد الشاذلي بسخرية لاذعة[١٦] .

ثم اتفق في تشرين الاول عام ١٩٣٢ مع اعضاء هيئة تحرير جريدة الصوت التونسي على خلع الشاذلي خير الله واصدار جريدة جديدة هي العمل التونسي ، باللغة الفرنسية ، وصدر اول عدد لها في الأول من تشرين الثاني عام ١٩٣٢ ، وقد كتب فيها مقالاً عنوانه (الميزانية التونسية) [١٧] .

ومن غير الواضح الجهة التي وقفت وراء تمويل هذه الجريدة ، على الرغم من ادعاء بورقيبة انه حصل على دعم مالي من الحزب الحر الدستوري، الا ان ذلك مستبعداً ، لانه لم يكن عضواً في الحزب[١٨] .

غير ان الجريدة تعرضت الى أزمة داخلية ، بعد استقالة علي بوحاجب (مسؤول مالية الجريدة) والبحري قيقة (سكرتير تحريرها) ، وكان سبب هذه الازمة هو اللقاء الذي اجراه محمد (بالفتح) مع محمد شنيق[١٩] رئيس المجلس الكبير[٢٠] .

وقد كتب مقالاً في الجريدة انتقد فيه علي بوحاجب والبحري قيقة، وعلى الرغم من ذلك، استمرت الصحيفة على الصدور وقد خصص بورقيبة لها كل وقته[٢١] .

ثم استغل قضية التجنس[٢٢] ، للتقرب من الجماهير ، فقد كتب عدة مقالات بشأن ذلك ، فقال في إحدى هذه المقالات : "ارادت السلطات فرض دفن المتجنس في مقابر المسلمين بالقوة فوثبنا وعقدنا العزم على ان نمنع ذلك ، وكانت تتجدد المظاهرات كلما توفي احد المتجنسين وتضرب الحراسة على قبره خوفاً من ان تخطف جثته ، وكان موت احد المتجنسين يسبب فضيحة بالنسبة الى عائلته حتى دفع المتجنسون الى المطالبة باسترجاع الجنسية التونسية"[٢٣] .

وبعد ان قررت سلطات الحماية في ١١ أيار عام ١٩٣٣ فرض الرقابة على الصحف ، قرر الحزب الحر الدستوري في ١٢ أيار عام ١٩٣٣ ضم هيئة تحرير جريدة العمل التونسي الى عضوية اللجنة التنفيذية للحزب ، الا ان سلطات الحماية قررت في ٣١ ايار عام ١٩٣٣ منع جريدة العمل التونسي من الصدور وحظر نشاط الحزب الحر الدستوري[٢٤] .

وفي غضون ذلك جاء وفد من مدينة المنستير الى العاصمة مؤلف من سبعين شخصاً واجتمع مع الحبيب بورقيبة ، وقام الاخير بالترتيب للقاء الوفد مع الباي احمد الثاني (١٩٢٩-١٩٤٢) ليقدموا شكوى له ، ضد فرض دفن موتى

المتجنسين ، الا ان اللجنة التنفيذية للحزب انتقدته على ذلك[٢٥] .لكن بورقيبة اكد صحة موقفه كونه محامياً، الا بصفته عضواً في الحزب . ثم قدم استقالته من الحزب الحر الدستوري في ٧ ايلول عام ١٩٣٣[٢٦].

وبعد طرد للحزب البحري قيقة من عضويته ، بسبب كشفه اسرار الحزب الى الحبيب بورقيبة ، قدم الطاهر صفر ومحمود الماطري ومحمد (بالفتح) بورقيبة استقالتهم من الحزب احتجاجاً على ذلك[٢٧] .

وبعد استقالة بورقيبة من الحزب استمر بالكتابة في الصحف ، وقد امتاز اسلوبه بالجدية والسلاسة وبتحليل البناء وبلمسات لاذعة من السخرية هنا وهناك[٢٨]، وان قوة شخصيته اتاحت له، بفضل الصفات التي يمتلكها فهو خطيب مفوه وواسع الاطلاع وبعيد الادراك وبفضل اتباعه سياسة معتدلة ، ان يكون زعيماً[٢٩].

ثانياً : جهود بورقيبة لتجديد عمل المعارضة الوطنية (١٩٣٤-١٩٤٤) :

أراد الحبيب بورقيبة توضيح سبب استقالته من الحزب الحر الدستوري الى شعبة قصر هلال[٣٠] للحزب ، عندما كان في طريقه الى مدينة المنستير في ٣ كانون الثاني عام ١٩٣٤ ، لكن اعضاء شعبة قصر هلال رفضوا مقابلته ، فتدخل احد اعضاء الحزب وطلب من الحضور الى اجتماع الشعبة في داره في مساء اليوم نفسه[٣١] ، وفي هذا الاجتماع استطاع كسب اعضاء الشعبة الى جانبه ، فطالبوا بعقد مؤتمر استثنائي للحزب الحر الدستوري[٣٢] .

الا ان اللجنة التنفيذية للحزب رفضت هذا الطلب وحذرت من الاتصال بالحبيب بورقيبة وقد استشهدت بالاية الكريمة "ياأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" ، اما هو فقد استشهد بالاية الكريمة[٣٣] : "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

رغم ذلك عقد الحزب مؤتمره ، لايجاد حل لهذه المشكلة الداخلية التي تعرض لها ، في ٣ اذار عام ١٩٣٤ وقد حضره ممثلو ستين شعبة حزبية[٣٤] .

والقى كلمة في المؤتمر انتقد فيها اللجنة التنفيذية للحزب وعدها متزلفة لسلطات الحماية مما تسبب في ضعف الحزب ، واضاف : "اننا نريد ان نتبع سياسة جديدة"[٣٥]. وقرر المؤتمر حل اللجنة التنفيذية للحزب[٣٦] وانتخاب أعضاء الديوان السياسي[٣٧] ، وقد ضم المجموعة المتأثرة بالفكر الليبرالي ، وهم : محمود الماطري (رئيساً) والحبيب بورقيبة (اميناً عاماً) وطاهر صفر (مساعد الامين العام) ومحمد (بالفتح) بورقيبة (امين صندوق) والبحري قيقة (مساعد امين الصندوق) ، وتم انتخاب اعضاء المجلس الملي[٣٨]، واتفق المجتمعون على عقد مؤتمر عام [٣٩] للحزب في السنة القادمة واطلق على هذا التنظيم الجديد اسم (الحزب الحر الدستوري الجديد)[٤٠].

وقد تميز هذا الحزب بتنظيم محكم وانضباط تام ومركزية شديدة[٤١] ، وبفضل هذا التنظيم استطاع الاستمرار في عمله السياسي بنجاح من خلال القيادة المزدوجة المتمثلة بالديوان السياسي الذي هو الهيئة العليا (التنفيذية) والمجلس الملي الذي يقف مستعداً ليحل محل الديوان السياسي ، في حالة اصبح الاخير عاجزاً عن اداء واجبه ، وبهذه الطريقة تمكن الحزب من الصمود على الرغم من إجراءات سلطات الحماية القمعية[٤٢] . واستطاع ان يكسب دعم العديد من ملاك الأراضي ، الذين انضموا اليه ومنهم محمد شنيق (وهو من كبار ملاك الأراضي)، الذين وفروا الدعم المادي للحزب[٤٣] .

وتنفيذاً لطريقة بورقيبة ، الداعية الى الاتصال المباشر بالشعب ، قام بالعديد من الجولات في المدن التونسية لتهيئة الجماهير لخوض معركة التحرير بقيادة الحزب[٤٤] ، وكان يخاطب الجماهير في جولاته هذه باللهجة التونسية (العامية) [٤٥] .

اراد الافادة من قوة الجماهير، عندما تتحد ، في عملية التحرير ، اذ قال : "اني منذ عام ١٩٣٤ ادركت دور الجماهير في معركة الاستقلال"[٤٦] ، فقد كان يريد ان تضغط الجماهير ، بالمظاهرات والاضرابات ، على سلطات الحماية لتضطر الاخيرة الى اجراء مفاوضات مع قادة الحركة الوطنية ، وهي من نظرته الواقعية للعلاقة بين تونس وفرنسا واقتناعه برجحان كفة الميزان في (الصراع) لصالح فرنسا[٤٧] .

وفي الجولات التي قام بها بورقيبة كان يلهب مشاعر الجماهير للمطالبة باستقلال البلاد وتحقيق امانيه بالحرية والعدالة ، ويذكر انه قال في احدى جولاته : "مادام المرء يرى بتونس اناساً يجدون ما لا يأكلون واخرين لا يجدون ما يأكلون فالحرب تصبح ضرورة ، سرية كانت او علنية ، والالتجاء الى العنف واجب والسلم من قبيل الاوهام" [٤٨] .

وبسبب النشاط الذي بذله اعضاء الديوان السياسي ، خلال الجولات التي قاموا بها في المدن التونسية ، القت سلطات الحماية ، بناءً على اوامر من المقيم العام ، القبض على بورقيبة وبعض اعضاء الديوان السياسي في ٣ ايلول عام ١٩٣٤ واعتقلوا في برج البوف[٤٩] ومن هناك واصل بورقيبة يقود حركة المقاومة الوطنية ، اذ بعث برسالة الى اعضاء الحزب الحر الدستوري الجديد ، طبعت ووزعت على المناضلين ، وفيها دعاهم الى مواصلة المقاومة[٥٠] .

وقد تسبب اعتقال بورقيبة ورفاقه في قيام العديد من المظاهرات في ٤ ايلول عام ١٩٣٤ عمت جميع المدن التونسية ، واشتبكت مع رجال الشرطة الفرنسية مما تسبب في وقوع العديد من الضحايا في صفوف المتظاهرين وجرح اخرين ، فيما قتل احد افراد الشرطة الفرنسية[٥١] .

وبعد اعتقال بورقيبة وبعض رفاقه ، شكل الحزب ديواناً سياسياً ثانياً تألف من الطاهر صفر والبحري قيقة وصالح بن يوسف[٥٢] الذين قدموا مذكرة احتجاج الى

المقيم العام طالبوا فيها اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، الا انه رفض ذلك وقرر في ٣ كانون الثاني عام ١٩٣٥ اعتقال اعضاء الديوان السياسي الثاني[٥٣] .

فشكل الحزب ديواناً سياسياً ثالثاً برئاسة الشاذلي خير الله ، عضو الحزب ، الذي تمكن من مقابلة المقيم العام في ٦ كانون الثاني وطلب منه اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، الا ان الاخير رفض ذلك ، مما دفع الشاذلي خير الله الى تنظيم مظاهرة كبيرة في العاصمة تونس في ٢٩ اذار عام ١٩٣٥ ، شارك فيها نحو ٣٠ الف متظاهر ، احتجاجاً على سياسة المقيم العام ، لكن قادة الحزب المعتقلين اعترضوا على ذلك ، مما دفع الديوان السياسي الثالث الى الاستقالة في اليوم التالي للمظاهرة[٥٤].

ولجأ الحزب الى العمل السري بعد ان اصدر المقيم العام اجراءات تعسفية في ٣ ايلول عام ١٩٣٥ ، فقد أمر باغلاق جريدة العمل التونسي (لسان حال الحزب) وحظر اجتماعات الحزب[٥٥] .

وقد رفض الشعب التونسي هذه الاجراءات ، ونظم عدة مظاهرات عمت البلاد، وفي ٢٤ شباط عام ١٩٣٦ نظمت الجماهير مظاهرات في معظم المدن التونسية ، وهددت بمواصلة المظاهرات حتى اطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، فاضطرت الحكومة الفرنسية في ٢١ اذار عام ١٩٣٦ الى نقل المقيم العام من مدينة تونس الى مدينة الرباط وتعيين مقيم عام جديد هو ارماندغيلون Armand Guillon (اذار عام ١٩٣٦ – تشرين الثاني عام ١٩٣٨) [٥٦] .

وفور وصول ارماند غيلون الى تونس اتخذ اجراءات من شأنها تهدئة الوضع في البلاد ، فقد اطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين في برج البوف ، الا ان ذلك لم يشمل بورقيبة ، الذي كان معتقلاً في جزيرة جربة منذ ان نقل اليها في ٢٣ نيسان عام ١٩٣٦ ، ولم يطلق سراحه الا في ٢٣ ايار عام ١٩٣٦[٥٧] . كما قرر المقيم العام

الغاء الاجراءات التي فرضها المقيم العام السابق ، فقد اصدر في ١١ اب قراراً نص على حرية الصحافة والاجتماعات في تونس[٥٨] .

وبعد خروج قادة الحزب من الاعتقال ظهر خلاف بينهم بشأن الطريقة التي يتم اتباعها لقيادة الحركة الوطنية ، فبينما يدعو بورقيبة الى الاستمرار في دعوة الجماهير لمواصلة النضال ، الا ان بقية زملائه لم يشاطرونه الرأي وفضلوا اتباع سياسة الاعتدال والعمل السياسي السلمي بعيداً عن العنف[٥٩] .

وجرت تسوية الخلاف في اجتماع الديوان السياسي في ١٠ تموز عام ١٩٣٦، فقد القى بورقيبة كلمة حدد فيها الحد الادنى من مطاليب الشعب التونسي، اذ طالب بحق الشعب في وضع ميزانية الدولة وسن قوانين جديدة بواسطة مجلس منتخب ضمن اطار نظام الحماية، وقد قرر الاجتماع تكليف الحبيب بورقيبة بالسفر الى باريس للاتصال بحكومة الجبهة الشعبية[٦٠] (٤ حزيران عام ١٩٣٦–٢١حزيران عام ١٩٣٧).

لذلك سافر بورقيبة الى باريس وتمكن من عقد اجتماع مع بييارفيينو[٦١] (وكيل وزير الخارجية) في ١٦ تموز عام ١٩٣٦ وقدم له تقريراً طالب فيه بقيام نظام دستوري ديمقراطي في تونس يمكن الشعب من المشاركة في سن القوانين ووضع ميزانية للبلاد[٦٢] .

واستطاع بورقيبة مقابلة المقيم العام في مقر وزارة الخارجية الفرنسية ، حيث كان يزور باريس ، في ٢٨ اب عام ١٩٣٦ وتعد هذه الاجتماعات تاريخية ، لان بورقيبة كان اول مناضل تونسي يستقبل في مقر وزارة الخارجية الفرنسية[٦٣].

وبسبب نشاط الحزب اصدر المقيم العام ، بعد عودته الى تونس ، قراراً في ١١ تشرين الاول عام ١٩٣٦ نص على حظر نشاط الحزب ومنع جريدته من الصدور. الا ان الحزب قرر تحدي ذلك ، فقد عقد الديوان السياسي اجتماعاً في ١٣

تشرين الاول قرر ايفاد بورقيبة ، الذي عاد الى تونس ، مرة اخرى الى باريس لاثارة الرأي العام الفرنسي ودعوة فيينو الى زيارة تونس[٦٤] .

فسافر بورقيبة الى باريس في نهاية تشرين الاول عام ١٩٣٦ واجتمع مع فيينو ووصل معه الى تفاهم حول مستقبل العلاقات بين تونس وفرنسا ضمن إطار نظام الحماية[٦٥] . وخلال وجوده في باريس استطاع كسب الطلاب التونسيين ، الدارسين في فرنسا ، الى صفوف الحزب فأسس شعبة للحزب الحر الدستوري الجديد هناك واصبح هؤلاء يكنون الولاء الشخصي لبورقيبة وابرزهم الهادي نويرة[٦٦] .

وبعد عودة بورقيبة الى تونس ، عقد المجلس الملي اجتماعه في ٣ تشرين الثاني عام ١٩٣٦ في مدينة تونس وخول المجلس الديوان السياسي لمهمة الضغط على فرنسا لارسال لجنة التحقيق[٦٧] ، ثم اجتمع الديوان السياسي وقرر ايفاد بورقيبة مرة اخرى الى باريس[٦٨] .

فسافر بورقيبة الى باريس ، وحضر مأدبة اقامتها شعبة الحزب هناك في ١٤ شباط عام ١٩٣٧ وحضرها رولان ميشال (مدير تحرير جريدة لافلاش الباريسية) الذي اشار الى ما بين الحزب الحر الدستوري الجديد وحكومة الجبهة الشعبية من تقارب[٦٩].

واسفرت الاتصالات التي اجراها بورقيبة مع المسؤولين في حكومة الجبهة الشعبية عن زيارة بييار فيينو الى تونس في ١٨ شباط عام ١٩٣٧ ، الذي قام بدراسة الاوضاع العامة في تونس ثم عقد اجتماع مع الباي احمد الثاني (١١ شباط عام ١٩٢٩ – ١٩ تموز عام ١٩٤٢) بحضور محمود الماطري (رئيس الحزب) الذي طرح في الاجتماع مطاليب الشعب التونسي . وفي نهاية الاجتماع اجرى فيينو لقاء مع اذاعة تونس اكد فيه ضرورة اجراء اصلاحات واسعة في تونس وتطبيق نصوص المعاهدات التونسية – الفرنسية واحترام سيادة تونس[٧٠] .

وعبر بورقيبة في باريس عن ارتياحه لهذا التصريح ، ثم التقى مع عدد من المسؤولين في الحكومة الفرنسية في الأول من اذار عام ١٩٣٧ وشرح خلال اللقاء القضية التونسية[٧١] . الا ان سقوط حكومة الجبهة الشعبية ٢١ حزيران عام ١٩٣٧ اجهضت كل جهوده[٧٢] . مما دفع بورقيبة الى تهيئة حزبه ، الذي ازداد عدده بشكل كبير فقد بلغ عام ١٩٣٧ نحو ٤٠ الف عضواً واتسم تنظيم الحزب بالدقة والمركزية مما اظهره بمظهر الحزب الجماهيري العتيد [٧٣] . بذلك اصبح قادراً على دفع رواتب لملاكاته المتفرغة للعمل الحزبي ، من خلال الاشتراكات التي تجمع من اعضائه ، فقد كان يدفع الى بورقيبة راتباً شهرياً قدره ٣٥٠٠ فرنك فرنسي[٧٤] .

وبفضل هذا التنظيم ، استطاع الحزب تبديد جهود عبد العزيز الثعالبي ، بعد عودته الى تونس في ٨ تموز عام ١٩٣٧ ، لتوحيد الحزب ، اذ دعا الثعالبي الى اجتماع مشترك لاعضاء الحزب الحر الدستوري الجديد والحزب الحر الدستوري القديم في ١٥ اب عام ١٩٣٧[٧٥] . وفي الاجتماع تم الاتفاق على تأسيس لجنة مشتركة[٧٦] تضم ممثلين من كلا الحزبين ، ثم قام الثعالبي بجولة في عدد من المدن التونسية[٧٧] . مما دفع بورقيبة الى العودة الى تونس في الأول من ايلول عام ١٩٣٧ ، وفور وصوله ، قام بجولة في عدد من المدن التونسية[٧٨] ، واقترح اقامة استفتاء شعبي يمكن التونسيين من الاختيار بينه وبين الثعالبي وبين الديوان السياسي واللجنة التنفيذية ، مما احدث رد فعل كبيرة مؤيد له . مما دفع الثعالبي الى ترك العمل السياسي . ثم كتب بورقيبة مقالاً في جريدة العمل التونسي انتقد فيه الثعالبي واتهمه بفرض نفسه على حزب الحر الدستوري الجديد وانتقد ايضا اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الحر الدستوري القديم ووصفهم بالتخاذل امام سلطات الحماية[٧٩] .

دعا بورقيبة بعد ذلك الى عقد مؤتمراً عاماً للحزب ، وهو الثاني من نوعه ، وقد انعقد في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩٣٧ في مدينة تونس وفيه القى بورقيبة كلمة انتقد فيها سياسة الحكومة الفرنسية . وقرر المؤتمر رفض سياسة الحكومة الفرنسية واعلن عن عزم الحزب على سلوك السبل المؤدية الى تحقيق اماني الشعب التونسي[٨٠]. وانتخب المؤتمر اعضاء الديوان السياسي(الرابع) [٨١] .

ثم دعا بورقيبة الى الاضراب العام في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٣٧ ، الا ان قيادة جامعة عموم العملة[٨٢] . التونسية رفضت الاشتراك في الاضراب مما تسبب في فشله[٨٣] ، مما دفع بورقيبة الى بعث رسالة في ٢٣ كانون الاول عام ١٩٣٧ الى الهادي نويرة يخبره بقرار الحزب تعيينه امين عام الجامعة بدلاً من بلقاسم قناوي ، واستطاع نويرة ربط الصلة بين الجامعة والحزب في الحركة الوطنية .

ثم قام بورقيبة بجولة في العديد من المدن التونسية في ٢ شباط عام ١٩٣٨ القى خلالها خطباً حماسية لحث الجماهير على الالتفاف حول قيادة الحزب حتى تحقيق الاستقلال ، ودعا الى عقد مؤتمر للحزب[٨٤] .

فعقد الحزب مؤتمراً استثنائياً في مدينة تونس في ١٣ اذار عام ١٩٣٨ الذي قرر الاستمرار في تعبئة الجماهير لمواصلة المقاومة ، ثم قام بورقيبة بجولة جديدة في مدينة تونس في ١٨ اذار والقى كلمات حماسية الهبت صدور الجماهير وحثهم على مواصلة المقاومة[٨٥] .

ثالثاً : موقف فرنسا من نشاط الحركة الوطنية :

وبعد القاء سلطات الحماية القبض على عدد من اعضاء حزب الحر الدستوري الجديد في ٤ نيسان عام ١٩٣٨ ، في اثناء قيامهم باتصالات مع الجماهير لحثهم على مواصلة المقاومة ، قامت عدة مظاهرات في معظم المدن التونسية ، طالبت باطلاق سراح المعتقلين السياسيين[٨٦] . وفي ٨ نيسان عام ١٩٣٨ نظم

الحزب مظاهرة في مدينة تونس بقيادة علي البلهوان[٨٧] احتجاجاً على سياسة سلطات الحماية القمعية[٨٨] ، التي ردت على تلك المظاهرات بشدة ، فقد اصدرت قرار حظرت بموجبه اجتماعات الحزب ومنعت جريدته من الصدور[٨٩] .

وقد رفض بورقيبة الالتزام بهذا القرار ودعا الى مظاهرة جماهيرية في يوم ١٠ نيسان عام ١٩٣٨ ، الا ان اعتقال علي البلهوان في ٩ نيسان كان سبباً في قيام مظاهرة كبيرة في مدينة تونس طالبت باطلاق سراح البلهوان وبقية المعتقلين السياسيين[٩٠] .

وواجهت سلطات الحماية هذه المظاهرة بالقوة مما تسبب في استشهاد ١٢٢ شخصاً وجرح مئات اخرين من المتظاهرين ، واعلنت حالة الطوارئ في البلاد ثم قامت بحملة اعتقالات واسعة ، بلغ عدد المعتقلين نحو ثلاثة الاف شخص من اعضاء الحزب[٩١] ، وفي ١٠ نيسان عام ١٩٣٨ اعتقلت بورقيبة ، الذي لم يشارك في المظاهرة بسبب مرضه الا ان سلطات الحماية اتهمته بتحريض السكان ضدها ، مما دفع الحزب الى تشكيل ديوان سياسي خامس برئاسة الباهي الادغم واخذ يقود الحركة الوطنية بصورة سرية [٩٢] .

لكن الحكومة الفرنسية ارادت تهدئة الوضع فعينت مقيماً عاماً جديداً في تونس هو ايريك لابونية Eirik Labonne (تشرين الثاني عام ١٩٣٨–حزيران عام ١٩٤٠) وفور وصوله الى العاصمة تونس في ٢٢ تشرين الثاني قامت مظاهرة كبيرة طالبت باطلاق سراح المعتقلين السياسيين واعلنوا رفضهم لسياسة الاضطهاد التي تمارسها سلطات الحماية[٩٣] .

وبعد زيادة تأزم الوضع في تونس ، قررت الحكومة الفرنسية ارسال لجنة برلمانية لدراسة القضية التونسية ثم تبعتها زيارة رئيس وزراء فرنسا ايدور دالاديير Edouard Daladier (١٨٨٤–١٩٧٠) /١٠ نيسان عام ١٩٣٨ – ٢٠ اذار

عام ١٩٤٠ الى تونس في ٢ كانون الثاني عام ١٩٣٩ فقامت مظاهرات جماهيرية في معظم المدن التونسية في ذلك اليوم[٩٤] .

وكان الديوان السياسي الخامس على اتصال مع بورقيبة في هذه الاثناء من خلال محامية ، فكان بورقيبة قادراً على ان يعيد تنظيم الحزب ، الا ان سلطات الحماية اعتقلت أعضاء الديوان السياسي في ١٥ كانون الثاني عام ١٩٤٠ ، ثم تمكنت في ١٤ شباط من اعتقال أعضاء لجنة المقاومة[٩٥] .

ولم يستسلم الحزب اذ شكل ديواناً سياسياً سادساً برئاسة الحبيب ثامر[٩٦] الذي قاد مظاهرة في يوم ٥ تموز عام ١٩٤٠ طالبت بسقوط نظام الحماية واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، الذين نقلوا الى مرسيليا (جنوب فرنسا) [٩٧] ، فقامت سلطات الحماية بالقاء القبض على اعضاء الديوان السياسي السادس في ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٤١ وقدمت الحبيب ثامر للمحاكمة بتهمة الاخلال بالامن العام وصدر بحقه في ٢٥ شباط عام ١٩٤٢ حكماً بالسجن مدة عشرين سنة مع الاشغال الشاقة[٩٨] .

وأرسل الحبيب بورقيبة ، من سجن مرسيليا ، رسالة الى الحبيب ثامر في ٨ اب عام ١٩٤٢ دعاه فيها الى عدم التعاون مع المانيا وضرورة التعاون مع انصار الجنرال ديغول في تونس[٩٩] ، فقد ادرك بورقيبة الخطر الذي سينجم عن انتصار قوات المحور وسقوط تونس تحت سيطرتها ، اذ اعد التعاون مع قوات المحور خطأً سياسياً كبيراً ، لذلك فضل بورقيبة التعاون مع قوات الحلفاء [١٠٠] .

رابعاً : تعاون الحبيب بورقية مع دول الحلفاء :

وبعد احتلال الجيش الالماني الاراضي الفرنسية ، قام في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٤٢ بنقل السجناء التونسيين الى سجن مونليك (قرب مدينة ليون الفرنسية) ثم نقلوا الى سجن فانيسا (في مقاطعة ان الفرنسية) ، وفيه قابل بورقيبة في ١٨ كانون

الاول عام ١٩٤٢ قائد القوات الالمانية في فرنسا ، وبقوا هناك الى ان اطلق سراحهم في ٨ كانون الثاني عام ١٩٤٣ ونقلوا الى روما[١٠١] .

وفالتقى الحبيب بورقيبة ممثل وزير الخارجية الايطالية الذي طلب منه التعاون مع دول المحور ، لكن بورقيبة اشترط اعلان استقلال تونس اولاً ، ورفض بورقيبة فكرة انشاء حكومة تونسية في المنفى (مقرها روما) وطلب عرض الفكرة على الباي محمد المنصف[١٠٢] عاهل البلاد الشرعي[١٠٣] .

ثم القى بورقيبة كلمة في اذاعة باري الايطالية في ٦ نيسان عام ١٩٤٣ ، دللت على حنكته ودهائه السياسي ، فبعد ان شكر دول المحور لتخليصه من السجن ، لم يلزم نفسه بشيء واعلن ان بلاده تضررت نتيجة الحرب بين قوات المحور وقوات الحلفاء ثم دعا الشعب التونسي الى الالتفاف حول الباي محمد المنصف واتباع توجيهاته[١٠٤] .

وبينما كان بورقيبة في روما تلقى رسالتين الاولى من الامير شكيب ارسلان والثانية من امين الحسيني (مفتي القدس) طلبا منه التعاون مع دول المحور ، الا ان بورقيبة بعث رسالة جوابية الى أمين الحسيني نصحه فيها بعدم التعاون مع دول المحور قبل الحصول على وعد باستقلال بلاده[١٠٥] .

ثم عاد بورقيبة الى تونس ، بعد ان سمحت له الحكومة الايطالية بذلك ، في ٩ نيسان عام ١٩٤٣ والتقى الباي واعضاء الحكومة التونسية ثم التقى المقيم العام (الموالي لحكومة فيشي) الذي طلب منه تشكيل حكومة جديدة الا ان بورقيبة رفض ذلك[١٠٦] .

وبعد اقتراب قوات الحلفاء من عتبات مدينة تونس قرر زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد ، وهم الحبيب ثامر والطيب سليم[١٠٧] والرشيد ادريس[١٠٨] والهادي السعيدي وحسين التريكي الهرب الى ايطاليا في ٥ ايار عام ١٩٤٣ فيما قرر بورقيبة

البقاء في تونس لكنه فضل الاختفاء لخشيته من سوء فهم علاقته مع دول المحور[١٠٩].

وبعد دخول قوات الحلفاء مدينة تونس في ٧ ايار عام ١٩٤٣ اصدر بورقيبة من مخبئه منشوراً اعلن فيه وقوف حزبه الى جانب الحلفاء وطالب بتأسيس مجلس مشترك (بين التونسيين والفرنسيين) واكد عدم مطالبته بالاستقلال في الوقت الحاضر[١١٠] .

ثم بدأ في توضيح موقفه من خلال اتصالاته مع هوكر دوليتل (قنصل الولايات المتحدة الامريكية في تونس) وكان اول اتصال معه تم في ١٧ ايار عام ١٩٤٣[١١١] ، وبعد هذا اللقاء تولى دولتيل مهمة توضيح موقف بورقيبة الى المقيم العام جان استيفوا Jeen Esteva (٢٦ تموز عام ١٩٤٠–ايار عام ١٩٤٣) اذ قال دولتيل : "ان بورقيبة هو بجانب الحلفاء"[١١٢] وبعد الضغط الذي مارسه دولتيل على المقيم العام طلب الاخير مقابلة بورقيبة في ١٢ حزيران عام ١٩٤٣ وفي نهاية المقابلة حصل بورقيبة على قرار يسمح له حرية التحرك في البلاد[١١٣] .

فاسرع في القيام بجولات في عدد من المدن التونسية لاعادة تنظيم حزبه ، وعندما شعرت السلطات الحماية الفرنسية بذلك وضعته تحت الاقامة الجبرية في مدينة تونس[١١٤] . وثم اقدم الجنرال جيرو (قائد القوات الفرنسية في شمال افريقيا) على عزل الباي محمد المنصف في ١٤ حزيران عام ١٩٤٣ متهماً اياه بالتعاون مع قوات المحور[١١٥] ونصب بدله الباي محمد الامين[١١٦] (١٤ حزيران عام ١٩٤٣– ٢٥ تموز عام ١٩٥٧) ويرجع السبب الحقيقي في الاطاحة بالباي لكونه ذو نزعة وطنية[١١٧] .

ولم يدخر بورقيبة جهداً الا واستثمره خدمة للقضية التونسية ، ففي ٢٢ اذار عام ١٩٤٤ بعث مذكرة الى المقيم العام ايمانويل ماست Emmanuel Mast

(١٩٤٣-١٩٤٧) يطالب فيها باقرار السيادة التونسية والغاء جميع النصوص القانونية التي تحظر عمل الحزب[١١٨] .

وفي الاجتماع السري الذي عقده المجلس الملي في ٢ كانون الاول عام ١٩٤٤ تقرر استغلال الضغط الدولي على فرنسا ، من اجل تحقيق استقلال تونس، فقرر الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد في ١٩ اذار عام ١٩٤٥ ايفاد بورقيبة الى المشرق للتعريف بالقضية التونسية[١١٩] .

**الخاتمة :**

تبين لي من خلال البحث ان دور الحبيب بورقيبة في تجديد الحركة الوطنية في تونس واتباع سياسة واقعية لتعامل مع الاحداث وكان يحاول الاستفادة من الظروف التي تمر بها بلاده ليكون قائداً ، ففي المرحلة الاولى من نشاطه السياسي ، قبل استقلال تونس ، دافع عن التقاليد العربية الاسلامية في المقالات الصحفية التي كتبها عام ١٩٢٩ ، لاعتقاده بانها وسيلة مهمة لالتفاف الجماهير حوله في النضال ضد الاستعمار الفرنسي ، الا انه سرعان ما خرج على الحزب الحر واسس حزب الحر الدستوري بزعامته واستطاع اتباع سياسة واقعية لبرالية في تطوير عمل الحركة الوطنية والتعامل مع الاحداث بواقعية ورفض التعاون مع القوات الالمانية التي احتلت بلاده وكان يعتقد انها ستهزم في نهاية الحرب لذا وضع اماله للتعاون مع فرنسا في الحصول على الاستقلال . واتبع بورقيبة سياسة معتدلة ، وهي سياسة المراحل ، في النضال ضد فرنسا، استطاعت هذه السياسة ان تقنع الأخيرة بوجهة نظره بضرورة منح تونس الاستقلال حتى لا تتحول الى جانب الثورة الجزائرية التي طالبت بانهاء الوجود الفرنسي في بلادها .

**الهوامش:**

(1) **Norma Salem , Habib Bourguiba Islam and creation of Tunisia , London , Dover Biddles Ltd , 1984**, p. 74.

(٢) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص٨٠.

(٣) نظام الحماية : وهو حكم غير مباشر تفرضه الدول الاستعمارية على البلد المستعمر، غالباً ما يكون من المستوطنين وتتولى الدولة الحامية السياسة الخارجية والدفاع . ينظر :
C.F.Mary Hodges , East African History for certificate year , London , George Allen & Unwinlted , 1971 , p. 261.

(٤) من اجل توحيد الطبقة العاملة ، دعا لينين عمال العالم الى الاتحاد وقامت الاممية الثالثة (١٩١٩–١٩٤٣) كان هدفها توحيد الجهود بقيادة سوفيتية لإقامة احزاب شيوعية.

(5) Salem , op . cit ., p. 134 .

(٦) مؤتمر الافخرستي : اقامته الكنيسة الكاثوليكية لمناسبة قيام مملكة قرطاجنة في شمال افريقيا عام ١٢٧٠م . ينظر : C.F.Ibid ., p. 75.

(٧) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص٨٢.

(٨) الصوت التونسي : جريدة اسسها الشاذلي خير الله وترأس تحريرها . بدأت في الصدور بصورة اسبوعية منذ عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣١ باللغة الفرنسية . ثم اصبحت جريدة يومية وتوقفت عن الصدور في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٣٢ ثم عادت للصدور في ٢٨ اذار عام ١٩٣٣ بصورة اسبوعية واستمرت حتى عام ١٩٥٠ . ينظر :
C.F.Salem , op. Cit ., p. 74.

(٩) مقتبس من : فيلكس فاراس ، بورقيبة ومولد امة ، ترجمة بوراوي الملوح واخرون ، تونس ، مطبعة العمل ، ١٩٥٧ ، ص٥١.

(١٠) مقتبس من : سعيد ، المصدر السابق ، ص٨١.

(١١) كاظم ، المصدر السابق ، ص٦١.

(12) Salem , op . cit ., pp.74-78.

(13) Ganarl , op . cit ., p. 56 .

(١٤) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص٨٦.

(١٥) الحبيب بورقيبة ، مقالات صحفية (١٩٢٩-١٩٣٤) ، تونس ، دار العمل ، ١٩٧٩ ، ص ص٩٩-١٠٥.

(١٦) المصدر نفسه ، ص١١٠ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص١١٤.

(١٨) كان بورقيبة على اتصال مع الحزب من خلال صديقه صالح فرحات (عضو الحزب) ، ينظر :

C.F.Salem , op . cit ., p. 79 .

(١٩) محمد شنيق : من اعيان تونس ، كان عضواً في غرفة التجارة التونسية منذ عام ١٩٢٤ ، وفي عام ١٩٢٨ انتخب رئيس المجلس الكبير ، كان يميل الى جماعة بورقيبة التي اسست الحزب الحر الدستوري الجديد ، اصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٤٢ ثم استقال ، واصبح مرة اخرى رئيساً للوزراء عام ١٩٥٠ في الوزارة التفاوضية مع فرنسا من اجل الحصول على الاستقلال الذاتي . ينظر : بوذينة ، المصدر السابق ، ص٣٨٣.

(٢٠) المجلس الكبير : في عام ١٨٩٦ اسست لجنة استشارية من المستوطنيين الفرنسيين مهمتها مد المقيم العام بارائها فيما يتعلق بالشؤون الاقتصادية . وفي عام ١٩٠٧ قرر المقيم العام قبريال الابتيت استحداث لجنة استشارية اخرى تتكون من تونسيين . وفي عام ١٩٢٢ صدرت اوامر احداث مجلس كبير بدلاً من اللجنتين ، وقد اشتمل على قسمين يتكون الاول من ستة وخمسين عضواً يتم انتخابهم من المستوطنيين الفرنسيين البالغ عددهم ١٦٠ الف شخص اما الثاني فيتكون من ٤١ عضواً يتم تعيينهم من المجالس البلدية والغرف التجارية والفلاحية يمثلون ٣ ملايين تونسي كانت مهمة المجلس استشارية ، له حق النظر في ميزانية الدولة ، لكن لا يقر شيء ، مدة دورة المجلس خمس سنوات . ينظر : شارل اندريه جوليان ، افريقيا الشمالية تسير ، ترجمة المنجي سليم واخرون ، تونس ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ ، ص٩٦.

(٢١) الا انه استطاع كسب البحري قيقة من جديد الى الجريدة . ينظر :

C.F. Salem , op . cit ., p. 80 .

(٢٢) قضية التجنس : صدر قانون فرنسي في عام ١٩٢٣ يشجع منح الجنسية الفرنسية للتونسيين ، فبدأت سلطات الحماية تشجيع ذلك ، حتى وصل عدد المتجنسين في عام ١٩٣١ الى ٧١٠

اشخاص اكثرهم من اليهود التونسيين او الذين تطوعوا في الجيش الفرنسي ، وقد قامت مظاهرات ضد دفن موتى المتجنسين في مقابر المسلمين ، فقد قامت مظاهرة في ١٤ نيسان عام ١٩٣٣ وقد واجهت سلطات الحماية هذه المظاهرة بالقوة ، مما اوقع عدداً من الضحايا في صفوف المتظاهرين ، ثم حاولت ايجاد مكان جديد لدفن موتى المتجنسين لكن دون جدوى ، لذلك قرر المقيم العام مارسيل بيروتون (١٩٣٣-١٩٣٦) فرض ذلك بالقوة في ٨ آب فتجمعت الجماهير في المقبرة ، وقد اطلقت الشرطة النار على الجماهير مما تسبب في قتل عدد منهم . ينظر :

C.F. Salem , op . cit ., pp.87-89.

(٢٣) مقتبس من : بوتار ، المصدر السابق ، ص ص٩٩-١٠٠.

(24) Ganarl , op . cit ., pp. 65-67.

(٢٥) الصافي سعيد ، الحبيب بورقيبة سيرة شبه محرمة ، بيروت ، ص٨٥.

(٢٦) حزب الحر الدستوري ، المؤتمر العام (مؤتمر البعث ٢ مارس ١٩٣٤) ، تونس ، مطبعة العمل ، ١٩٦٢، ص١٦.

(٢٧) سعيد ، المصدر السابق ، ص٨٦.

(28) Salem , op . cit ., p. 87 .

(٢٩) إسماعيل حقي ، تونس العربية ، بيروت ، دار الثقافة ، دون تاريخ ، ص١٥٥.

(٣٠) قصر هلال : وهي مدينة تقع على بعد ١٥٠ كم جنوب مدينة تونس ، وقد تأسس فيها اول شعبة لحزب الحر الدستوري في عام ١٩٢٢ وهي تعد اقوى شعبة في البلاد اذ تسيطر على شعب اخرى قريبة منها. ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٦٩.

(٣١) بوتار ، المصدر السابق ، ص١١٢.

(٣٢) ينعقد المؤتمر العام للحزب كل سنتين وكان اخر مؤتمر انعقد في ١٢ ايار عام ١٩٣٣ . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٦١.

(٣٣) بورقيبة ، حياتي ، ص٩٩.

(٣٤) لمزيد من التفاصيل عن اسماء هذه الشعب واسماء مندوبيهم . ينظر : حزب الحر الدستوري ، مؤتمر العام ، ص ص٤٠-٤١.

([٣٥]) مقتبس من : حزب الحر الدستوري ، المؤتمر العام ، ص ص٤٩–٥٠.

([٣٦]) بعد هذا المؤتمر اخذت جماعة اللجنة التنفيذية تعرف بالحزب الحر الدستوري القديم . ينظر : وزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، الحزب الاشتراكي الدستوري (لوائح ومقررات من ٢ اذار ١٩٣٤–١٤ نيسان ١٩٧١) ، تونس ، شركة العمل للنشر ، ١٩٧١ ، ص٧.

([٣٧]) الديوان السياسي : وهو الهيئة التنفيذية العليا للحزب الحر الدستوري الجديد وهو المسؤول عن سير الحزب ومنفذ لقرارات التي يتخذها مؤتمر الحزب ، الذي ينتخبه بالاقتراع السري ، لمزيد من التفاصيل . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٨٠ ؛ علي البلهوان ، تونس الثائرة ، دون مكان ولا طبع ولا تاريخ ، ص ص٧٧–٧٨.

([٣٨]) المجلس الملي : وهو مكلف بمراقبة سير اعمال الديوان السياسي ، يجتمع مرة واحدة كل اربعة اشهر، وتحول اسمه بعد مؤتمر عام ١٩٦٤ الى المجلس القومي . ينظر : جهاد عودة ، تجربة الاشتراكية في تونس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص٣٨.

([٣٩]) المؤتمر العام : وهو اعلى سلطة في الحزب وهو الذي يقر النظام الداخلي للحزب ويستطيع ان يجري عليه أي تعديل وهو الذي يقرر سياسة الحزب واتجاهه وهو الذي ينتخب اعضاء الديوان السياسي . ويتكون المؤتمر من اعضاء الديوان السياسي واعضاء المجلس الملي والنواب الذين تعينهم قيادات الشعب خصيصاً لهذا الغرض ، كان مقرراً ان ينعقد مرة كل سنتين ، الا ان اجراءات سلطات الحماية بالقاء القبض على قادة الحزب حال دون انتظام اجتماعاته وبعد الاستقلال جعل بورقيبة اجتماعاته كل خمس سنوات . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص٨٢ ؛ البلهوان ، المصدر السابق ، ص٧٧.

([٤٠]) لمزيد من التفاصيل عن اهداف الحزب . ينظر : وزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، الحزب الاشتراكي ، ص٧ وما بعدها .

([٤١]) معن عبد الرحمن بركات ، المنهاج الديمقراطي في الجمهورية التونسية ، بحث غير منشور ، سفارة جمهورية العراق في تونس ، بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٩٧ ، نسخة شخصية لدى نغم اكرم الجميلي ، ص١٣.

([42]) Salem , op . cit ., p.97.

([43])Salem , op . cit ., p.98 .

(٤٤) خدوري ، المصدر السابق ، ص٢٠٨.

(٤٥) محمد الأمين خلفه ، بورقيبة والجانب النفساني من خطته ، تونس ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧١ ، ص ص٨٧–٩٠.

(٤٦) مقتبس من : المصدر نفسه ، ص٤٥.

(47) Salem , op . cit ., pp. 98-99.

(٤٨) مقتبس من : فاراس ، المصدر السابق ، ص٥٤.

(٤٩) برج البوف : وهو مركز عسكري يقع في شمال غربي تونس قرب الحدود الجزائرية ، كان أهل المنطقة يطلقون عليه اسم برج القصيرة بينما أطلق عليه الفرنسيون اسم أحد ضباطهم (الذي قتل في حادث انفجار طائرة)، وبعد الاستقلال سمي برج بورقيبة. ينظر : كاظم ، المصدر السابق، ص٩٦.

(٥٠) بورقيبة ، حياتي ، ص١١٠.

(٥١) حزب الحر الدستوري ، بعث امة وبناء دولة ، تونس ، نشريات كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد ، ١٩٦٤ ، ص٢٠٩.

(٥٢) صالح بن يوسف : ولد في قرية مفرادة الواقعة في جزيرة جربة (جنوب تونس) في ١١ تشرين الاول عام ١٩٠٥ من عائلة ميسورة . سافر الى العاصمة تونس يرافقه اخوه الاكبر ودخل المدرسة الابتدائية . وفي عام ١٩٢٢ التحق بمعهد ليسيه كارنو وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٣٠ . ثم سافر الى باريس ودرس في كلية الحقوق بجامعة السوربون وتخرج فيها عام ١٩٣٣ . ثم عاد الى العاصمة تونس وعمل بالمحاماة وفي عام ١٩٣٤ شارك في مؤتمر قصر هلال . واعتقل واطلق سراحه عام ١٩٣٦ . وفي مؤتمر عام ١٩٣٧ انتخب عضواً في الديوان السياسي واعتقل مرة اخرى في ٦ نيسان عام ١٩٣٨ واطلق سراحه في ٢٦ شباط عام ١٩٤٣ . وبعد هجرة بورقيبة الى القاهرة (١٩٤٥–١٩٤٩) اصبح الامين العام للحزب وادى دوراً بارزاً في المؤتمر الوطني المسمى بـ (ليلة القدر) في ٢٣ اب عام ١٩٤٦ الذي طالب باستقلال تونس التام . واصبح وزيراً العدل في عام ١٩٥٠ وشارك ضمن الوفد التونسي الذي سافر الى باريس للتفاوض مع فرنسا على الاستقلال الداخلي عام ١٩٥٠ وبعد فشل هذه المفاوضات سافر الى باريس لتقديم شكوى تونس الى مجلس الامن . وبعد القاء المقيم العام القبض على

اعضاء الحكومة التونسية هرب الى بلجيكا عام ١٩٥٢ ثم سافر الى القاهرة ، وعاد الى تونس عام ١٩٥٥ . ينظر : المنجي وارده ، جذور الحركة اليوسفية ، المجلة التاريخية المغربية ، ع٧١-٧٢ ، سنة ٢٠ ، ايار ١٩٩٣ ، ص٤٨٠.

([53]) Salem , op . cit ., p. 104 .

([٥٤]) كاظم ، المصدر السابق ، ص ص٩٨-١٠١.

([55]) Salem , op . cit ., p. 104.

([٥٦]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٦٥.

([٥٧]) الحبيب بورقيبة ، بين تونس وفرنسا ، تونس ، المطبعة الرسمية ، ١٩٥٧ ، ص٩٧.

([٥٨]) جوليان ، افريقيا الشمالية تسير ، ص١٠٦.

([٥٩]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٦٣.

([٦٠]) كاظم ، المصدر السابق ، ص١٠٤.

([٦١]) بيار فيينو : بعد تشكيل حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا اسندت الى بيار فيينو مهام وكيل وزير الخارجية الفرنسية للشؤون التونسية والمغربية اضافة الى مسؤوليته السابقة وكيل وزير الخارجية للشؤون الشرق الاوسط . ينظر : المصدر نفسه ، ص١٠٣.

([٦٢]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٧٨.

([63]) Salem , op . cit ., p. 107.

([٦٤]) كاظم ، المصدر السابق ، ص ص١٠٧-١٠٨.

([٦٥]) خدوري ، المصدر السابق ، ص٢١٠.

([٦٦]) الهادي نويرة : مناضل تونسي ، ولد في مدينة المنستير في ٦ نيسان عام ١٩١١ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينة تونس . واكمل دراسة الحقوق في باريس وترأس الشعبة الدستورية فيها بعد عودته الى تونس عمل بالمحاماة منذ عام ١٩٣٧ وعين اميناً عاماً لجامعة عموم العملة التونسية في السنة نفسها واسهم في ربط الصلة بين المنظمة والحزب وانضم الى هيئة تحرير جريدة العمل التونسي والقي القبض عليه عام ١٩٣٨ وصاحب بورقيبة في عدة معتقلات واطلق سراح نويرة في عام ١٩٤٣ ، وانتخب عضواً في الديوان السياسي في مؤتمر الثالث للحزب عام ١٩٤٨ . وشارك في الوزارة التفاوضية عام ١٩٥٤ شغل منصب وزير

التجارة وفي عام ١٩٥٥ تقلد مهام المالية بعد الاستقلال الداخلي واستمر بهذا المنصب الى تشرين الثاني عام ١٩٥٨ اذ عين مديراً البنك المركزي وفي ٧ تشرين الثاني عام ١٩٦٩ عين وزيراً للدولة مع احتفاظه بمهام منصب مدير البنك المركزي وفي حزيران عام ١٩٧٠ كلف بشؤون الاقتصاد وكلفه الرئيس بورقيبة في ٩ تشرين الاول عام ١٩٧١ بمنصب نائب رئيس الوزراء وبعد شهر عينه بمنصب رئيس الوزراء وشغل منصب وزير الداخلية ايضا . ينظر : و.و.خ.ع، سفارة الجمهورية العراقية في تونس ، رقم الوثيقة عربية / ٦٢/١، تقرير عن تشكيل الديوان السياسي للحزب ، بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٦.

(٦٧) كان هدف اللجنة دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تونس لوضع الاصلاحات المناسبة لذلك .

(٦٨) وزارة الشؤون الثقافية والاخبار ، الحزب الاشتراكي ، ص١٠.

(٦٩) فاراس ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٧٠) فاراس ، المصدر السابق ، ص ص٨٠–٨٢.

(71) Salem , op . cit ., p. 107.

(٧٢) فاراس ، المصدر السابق ، ص٨٥.

(٧٣) احمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١–١٩٥٦)، ترجمة حمادي الساحلي ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ص٥٥٦–٥٥٧.

(74) Salem , op . cit ., p. 105.

(٧٥) سعيد ، المصدر السابق ، ص١٠٥.

(٧٦) تشكلت هذه اللجنة من الطاهر صفر وسليمان بن سليمان وعلي بو حاجب وصالح فرحات هدفها توحيد الحزب . ينظر : نحلة ، المصدر السابق ، ص١٣١.

(٧٧) فاراس ، المصدر السابق ، ص٨٤.

(٧٨) خدوري ، المصدر السابق ، ص٢١٠.

(٧٩) فاراس ، المصدر السابق ، ص٨٤.

(٨٠) و.م.ت.ق، رقم الملف A-4-30 ، بتاريخ ٢٠ نيسان عام ١٩٦٦ ، عدد ٤ .

([٨١]) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية ، وثائق رقم ٧ ، تونس ، شركة فنون الرسم للنشر ، ١٩٨٣ ، ص٢١.

([٨٢]) جامعة عموم العملة التونسية : اخذ محمد علي الحامي ، بعد عودته من المانيا ، يسعى الى انشاء نقابة للعمال التونسيين وبعد اضراب عمال ميناء تونس في اب عام ١٩٢٤ اسس نقابة عمال الميناء في مدينة تونس . ثم اسس نقابة لعمال الميناء في بنزرت ونقابة لعمال السكك الحديد ثم حاول توحيد هذه النقابات في نقابة واحدة واجرى عدة اتصالات مع هذه النقابات اثمرت جهوده الى عقد اجتماع عام لهذه النقابات في مدينة تونس وتمت فيه المصادقة على القانون الاساسي لجامعة عموم العملة التونسية في ٢٣ شباط عام ١٩٢٥ ، وبعد نفي محمد علي الحامي تولى بلقاسم قناوي قيادة جامعة عموم العملة التونسية ، وقد فضل قناوي عزل العمل النقابي عن السياسة . ينظر : الطاهر عبدالله ، تاريخ الحركة النقابية في تونس ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٤ ، ص ص٢٧–٣٣.

([٨٣]) بينما يدعي بورقيبة بانه طلب من العمال عدم المشاركة . ينظر : بورقيبة ، حياتي ، ص ص١٢٤–١٢٥.

([٨٤]) وزارة الاعلام ، قضية بورقيبة (٩ نيسان ١٩٣٨) ، وثائق رقم ٥ ، تونس ، دار العمل ، دون تاريخ ، جـ٢ ، ص٨.

([٨٥]) عندها استقال محمود الماطري من رئاسة الحزب بسبب رفضه استخدام العنف في النضال . ينظر : بورقيبة ، بين تونس وفرنسا ، ص ص٢٠٤–٢٠٥.

([٨٦]) البلهوان ، المصدر السابق ، ص٤٩.

([٨٧]) علي البلهوان (١٩٠٩–١٩٥٨) : مناضل تونس ولد في مدينة تونس اكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها . ثم سافر الى باريس عام ١٩٢٤ ودرس في كلية الآداب قسم اللغة العربية . وبعد تخرجه عاد الى تونس في عام ١٩٣٥ وعمل مدرساً للغة العربية في المدرسة الصادقية . وفي عام ١٩٣٦ انخرط في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد . والقي عليه القبض عام ١٩٣٨ وبقي حتى عام ١٩٤٣ . وفي عام ١٩٤٨ انتخب عضواً في الديوان السياسي للحزب وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي عام ١٩٥٦ . وفي عام ١٩٥٧ اصبح مديراً لبلدية العاصمة تونس وترأس وفد تونس الى المؤتمر الاسلامي في لاهور عام ١٩٥٨ وشارك في

مؤتمر طنجة عام ١٩٥٨ وتوفي في ١٠ ايار عام ١٩٥٨ في مدينة تونس ودفن في مقبرة الزلاج . ينظر : بوذينة ، المصدر السابق ، ص٢٥٦.

(٨٨) البلهوان ، المصدر السابق ، ص٤٩.

(٨٩) كتابة الدولة للاخبار والارشاد ، الحبيب بورقيبة ، تونس ، الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٦٥ ، ص١٧.

(٩٠) بورقيبة ، حياتي ، ص١٢٧.

(٩١) يذكر ان الاعتقال شمل حتى البحري قيقة ، الذي كان في باريس بتهمة تحريض الطلاب التونسيين على التظاهر في باريس . ينظر : وزارة الاعلام ، قضية بورقيبة ، ص٤٥.

(92) salem , op . cit ., p. 11.

(٩٣) و.م.ت.ق، رقم الملف A-4-30 ، بتاريخ ٣١ ايار ١٩٦٦ ، عدد ٧.

(٩٤) حزب الحر الدستوري ، بعث امة وبناء دولة ، ص٢٤.

(٩٥) لجنة المقاومة : شكلها البشير زرق العيون (وهو احد اعضاء حزب الحر الدستوري الجديد) وعمر بن علي حميدة ومحمد بن عمارة ، اخذت على عاتقها مقاومة فرنسا ، الا ان سلطات الحماية تمكنت من القاء القبض على اعضائها واصدرت بحقهم حكم الاعدام ولم ينفذ بسبب دخول قوات المحور تونس في عام ١٩٤٢ . ينظر :

C.F.Salem , op . cit ., pp. 111-112.

(٩٦) الحبيب ثامر (١٩٠٩–١٩٤٩) : ولد في مدينة تونس وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المدرسة الصادقية وسافر الى فرنسا ودرس في كلية الطب . ثم عاد الى تونس بعد تخرجه ودار جريدة افريقيا الفتاة . كان يدعو الى الكفاح المسلح مما دفع سلطات الحماية الى اعتقاله في عام ١٩٤١ ، الا ان الجماهير اطلقت سراحه في ايار عام ١٩٤٢ بعد انتفاضتها . اذ غادر تونس الى ايطاليا في ٥ ايار عام ١٩٤٣ ثم حصل على اللجوء السياسي في اسبانيا وسافر الى مصر عام ١٩٤٦ وانتخب عام ١٩٤٧ لادارة مكتب المغرب العربي ، توفي في ١٣ كانون الاول عام ١٩٤٩ بعد تحطم الطائرة الباكستانية التي تقله . ينظر : كاظم ، المصدر السابق ، ص١٣٠.

([٩٧]) نقلت سلطات الحماية الفرنسية بورقيبة و١٨ عضواً من اعضاء حزبه في ٢٦ ايار عام ١٩٤٠ الى ميناء بنزرت وفي اليوم التالي نقلوا على متن سفينة حربية الى سجن سان نيكولا في مدينة مرسيليا وبقوا هناك الى ان اطلق الجيش الالماني سراحهم . ينظر :

C.F. Salem , op . cit ., p. 112.

([٩٨]) وبعد الاضطرابات التي وقعت في جنوب تونس استطاع الوطنيون اطلاق سراح الحبيب ثامر من السجن في الاول من شهر ايار عام ١٩٤٢ . ينظر : الحبيب ثامر ، هذه تونس ، دون مكان ، مطبعة الرسالة ، دون تاريخ ، ص ص١٠٠–١٠١.

([٩٩]) حقي احسان ، المصدر السابق ، ص١٦١.

([١٠٠]) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية ، ص٤٧.

([١٠١]) كتابة الدولة للاخبار والارشاد ، الحبيب بورقيبة ، ص٢٠.

([١٠٢]) الباي محمد المنصف (١٨٨١–١٩٤٨) : ولد في مدينة تونس ودرس في المدرسة الصادقية . وتولى العرش في ١٩ تموز عام ١٩٤٢ قدم مذكرة للمقيم العام الموالي الى حكومة فيشي في ٢ اب عام ١٩٤٢ احتوت على برنامج واسع من الاصلاحات التي عرفت بوثيقة المنصف ومن جملة ما كانت تحتويه هذه الوثيقة من مطالب هو تأسيس مجلس استشاري تشريعي يمثل فيه التونسيون تمثيلاً واسعاً . ثم قرر الباي عزل حكومة الهادي الاخوة وتكليف محمد شنيق بتشكيل حكومة جديدة ضمت اعضاء من الحزب الحر الدستوري الجديد ، دون استشارة المقيم العام ، واعلن الباي حياد تونس في الحرب العالمية الثانية وطالب باطلاق سراح المعتقلين السياسيين . ينظر : جوليان ، المعمرون الفرنسيون ، ص ص١١٨–١٢٠.

([١٠٣]) سعيد ، المصدر السابق ، ص١٢٦.

([١٠٤]) حقي ، المصدر السابق ، ص١٦٦.

([١٠٥]) فاراس ، المصدر السابق ، ص٩٥.

([١٠٦]) حكومة فيجي : بعد دخول الالمان الى باريس نصبوا حكومة موالية لهم سميت حكومة فيجي . ينظر : سعيد ، المصدر السابق ، ص ص١٢٧–١٢٨.

([١٠٧]) الطيب سليم : مناضل تونسي ، ولد في ١٩ كانون الثاني عام ١٩١٤ في مدينة تونس ودرس في معهد ليسيه كارنو ثم سافر الى باريس ودرس الحقوق . انضم الى الحركة الوطنية منذ

حداثة سنة . وبعد استقلال تونس عام ١٩٥٦ عين سفيراً في عدد من العواصم الاجنبية وانتخب في مؤتمر الحزب لعام ١٩٦٤ عضواً في اللجنة المركزية للحزب وعين عام ١٩٦٧ ممثلاً شخصياً للرئيس بورقيبة بدرجة وزير دولة . وفي عام ١٩٧٠ عين سفيراً في الرباط . ينظر : و.و.خ.ع، سفارة الجمهورية العراقية في تونس ، تقرير عن تشكيل الديوان السياسي للحزب .

(١٠٨) الرشيد ادريس : مناضل تونسي ، ولد في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٢٠ بمدينة تونس وناضل في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد منذ حداثة سنة . عاد الى تونس في ٢٢ أب عام ١٩٥٥ بعد ان قضى مدة طويلة في التعريف بالقضية الوطنية بالشرق الاوسط . وانتخب في عام ١٩٥٦ عضواً في المجلس التاسيسي . وفي عام ١٩٥٩ انتخب نائب بمجلس الامة وعضو في الديوان السياسي . وعين كاتب الدولة للبريد والبرق والهاتف واستمر بهذا المنصب حتى عام ١٩٦٤ عندما عين سفيراً في واشنطن . ثم عين سفيراً في مكسيكو . وفي عام ١٩٦٩ عين بمنصب مندوب تونس في الامم المتحدة. ينظر : المصدر نفسه .

(١٠٩) اختفى بورقيبة في احياء مدينة تونس وهي ترنجة وباردو ووادي الليل واستمرت مدة الاختفاء شهراً وبضعة ايام . ينظر : و.م.ت.ق، رقم الملف A-4-30 ، بتاريخ ٥ حزيران ١٩٦٦ ، عدد ١١ .

(١١٠) بوتار ، المصدر السابق ، ص١٣١.

(111) Salem , op . cit ., p. 114 .

(١١٢) مقتبس من : بورقيبة ، حياتي ، ص١٧٤.

(١١٣) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية ، ص٥٢.

(١١٤) وزارة الاعلام ، الدستور الجديد يحطم جدار الصمت ، وثائق رقم ١٠ ، تونس ، شركة فنون الرسم للنشر ، ١٩٨٤ ، ص١٤.

(١١٥) تم نفي الباي محمد المنصف الى منطقة الاغواط وهي في صحراء الجزائر وقد بعث رسالة الى ايمانويل ماست (المقيم العام) من هناك اعرب عن رغبته بالتنازل بصورة رسمية عن العرش مقابل تغيير مكانه فوافق المقيم العام الذي بعث بممثل عنه في ١٤ ايار عام ١٩٤٤ ووقع الباي وثيقة التنازل . عندها نقل الى مدينة نيس في فرنسا ثم نقل الى مدينة البو (جنوب

غربي فرنسا) وبقي فيها حتى وفاته في ايلول عام ١٩٤٨ . فنقل جثمانه الى تونس ودفن في مقبرة الزلاج . ينظر : حقي ، المصدر السابق ، ص١٥٨.

([116]) الباي محمد الامين (١٨٨١–١٩٦٢) : وهو اخر من حمل لقب الباي من ملوك تونس نصبه الفرنسيون عام ١٩٤٣ وبقي حتى ان الغى المجلس التاسيسي عام ١٩٥٧ الملكية . ينظر : بوذينة ، المصدر السابق ، ص ص٣١٨–٣١٩.

([117]) Michael Crowder , The cambridge History of Africa (1940-1975) volum 7 , press , ferst published , 1980 , p. 567.

([118]) كاظم ، المصدر السابق ، ص١٤٢.

([119]) حزب الحر الدستوري ، ، بعث امة وبناء دولة ، ص٣٤.